Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شديدة الوضوح ، لأن المفروض كما سبق أنه قالها فى مرحلة الشعور باليأس وفقدان كل شىء ، وأن القصيدة تمثل استعادة لذكريات حياته ، وهذا ما يبدو بوضوح فى البيت الأول ، لأنه لا يتحدث عن حب ماثل فى قلبه ، وانما عن ذكريات ، وقد عبر بدقة عن ذلك بلفظ الذكرى ، وعن شعوره بفقدان كل شىء ، فقدان الأهل والأنصار والأتباع يعبر عنه بلفظ (حبيب) وعن شعوره بفقدان الملك والأرض والديار يعبر بلفظ (منزل) فالغزل العادى يشكو عادة فقدان الحبيب إذا فقد ، لأنه هو وحده الهدف من الشكوى ، ولكن امرأ القيس لا يحمل فى نفسيته حينئذ شوقا وهياما يشكوه ، وانما يحمل شعورا بالفقدان الكامل ، لذلك احتاج إلى الرمزين الجامعين ، الحبيب والمنزل ، وفى شعوره باليأس يحس بأن سعيه إلى استعادة ما ضاع لا فائدة منه ، أو أن هذا السعى لم يعد ممكنا ، ولذلك ينبغى أن يستكين ، وأن يتوقف عن هذا السعى ، واستسلامه لليأس والضياع لن يريح نفسه ، بل يملؤها أسى وحزنا ، وليس أبلغ من البكاء فى التعبير عن الحزن ، وقد عبر عن ذلك أيضا بدقة فى لفظ (نبكى) فكانت هذه الألفاظ القليلة فى شطر واحد معبرة عن كل ما فى نفس امرىء القيس حينئذ (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) ، وليس معنى ذلك أن الشاعر يقصد هذه الدلالات قصدا محددا أو مفصلا ، وانما هى عادة الشعر الجيد أن تنطبع نفسية الشاعر حينئذ فى مطلع قصيدته قصد أو لم يقصد .

وإذن فهذا البيت جيد واضح الجودة ، ولكن جودته ليست من أى وجه من الوجوه التى فسر بها الباحثون والنقاد مطالع الشعر الجاهلى ومقدماته ، ولا من الأسباب التى نقلها ابن رشيق أو رآها للحكم على جودته ، وإنما من ناحية تعبيره الواضح عن نفس الشاعر ووجدانه ، ولا شك أن النقاد القدماء قد أحسوا هذه الجودة حين فضلوه على غيره ، ولكنه كان إحساس الذوق الذى يعتمد عليه النقد القديم كله كما سبق .

ومما يؤيد تعبير المطلع عن نفسية امرىء القيس حينئذ ، أن أبيات المطلع كلها متضافرة فى التأكيد على دلالة واحدة ، وهدف محدد ، لا يخرج عن دائرة الشطر الأول من البيت الأول . فإن أبيات المطلع وهو ما يعنينا أساساً هى :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[٨]
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل[٩]
ترى بعر الآرام فى عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل[١٠]